إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ٣

الفارق بين الدعوة والتنصير

المفكر الإسلامي
الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

(٣)

الفارق بين الدعوة والتنصير

المفكر الإسلامي

الدكتور محمد عمارة





الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٦٦٤١ / ٢٥ / ١٢ / ٢٠٠٧م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عمارة ، محمد

الفارق بين الدعوة والتنصير : محمد عمارة . - الإسماعيلية : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧م .

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ؛ ٣)

تدمك ٤ ٥٣ ٥٢٩١ ٩٧٧

١- الإسلام - دعوة

ب - العنوان ب - السلسلة

مكتبة الإمام البخاري

للنشر والتوزيع

مصر - الإسماعيلية - ٤٦ شارع الجمهورية - الثلاثيني - بجوار البنزينة

ت ٠٦٤٣٢٤٣٧٤٣ - جوال ٠١٢٢٦٧٦٧٩٧

مُقَدِّمَة

لا يقف التنصير والمُنَصِّرون عند حدود العمل على تحويل عدد من المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية إلى النصرانية .. وإنما يتجاوز الأمر هذه الحدود إلى كثير من الأبعاد والميادين ..

فالتنصير - في حقيقته - إنما يعتمد على « **الإكراه** » أكثر مما يعتمد على « **حرية الاعتقاد** » .. وذلك عندما يعمل المُنَصِّرون في ركاب الغزاة الغربيين لبلاد الإسلام مستظلين بحمايات قوات الاحتلال وشركات الاستغلال .. فيصنع الغزو الكوارث التي تخلُّ بتوازنات الضحايا ، ليأتي المُنَصِّرون فيقدمون المساعدات باسم « يسوع » ، وليحولوا ضحايا الغزو عن دينهم ودين آبائهم ، لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء ! ..

حَدَث ذلك مع ضحايا حرب البوسنة والهرسك [١٩٩٢ - ١٩٩٥ م] .. وهو يحدث الآن في العراق وأفغانستان وكشمير والشيشان والصومال والسودان .. وبين اللاجئين المسلمين - الذين يكوِّنون معظم اللاجئين على النطاق العالمي !! ..

فالغزو يصنع المناخ البائس والضاغط والكريه .. ليأتي

التنصير لالتقاط ضحايا البؤس والإكراه ! .

والتنصير الغربي يعمل - ليس فقط بالاعتماد المتبادل مع جيوش الغزو الاستعماري - وإنما يعمل - أيضا - بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية في البلاد الإسلامية .. فيخرج هذه الكنائس عن « وطنيتها » ، ويقودها إلى خيانة حضارتها وأمتها وتاريخها .. ومن ثم يزرع بذور التوتر الدينيّ والفتن الطائفية التي تشيع « الفوضى الخلاقة » التي تجهض النهوض الحضاريّ في مجتمعات الإسلام ! ..

والتنصير - الذي يدعو أصحابه إلى التدين بالنصرانية - هو الذي يقيم - ومعه الكنائس المحلية - حلفًا غير مقدّس مع الشرائح العلمانية في المجتمعات الإسلامية ، تلك التي صَنَعَهَا الاستعمار على عَيْنِه ، والتي تضخّم من حجم ودور الأقليات غير المسلمة في بلادنا ، لتضخيم العقبات أمام المشروع الإسلاميّ ، واستكمال الأمة لمقومات هويتها الإسلامية ! ..

بل إن التنصير والمنصرين - رغم رداء الدين الذي يلبسونه - يشجعون نَشْرَ الفلسفات المادية والإلحادية في بلاد الإسلام ،

باعتبارها عقبات في سبيل سيادة الإسلام في المجتمعات الإسلامية ، والذين يلاحظون الحجم الكبير لأبناء الأقليات غير المسلمة في التنظيمات التي تعتنق الفلسفات المادية والإلحادية ، ويلاحظون مباركة الكنائس ودوائر التنصير لهذه الظاهرة ، يدركون مغزى هذا الحلف غير المقدس بين نصرانية هؤلاء المنصرين وبين المذاهب المادية والفلسفات الإلحادية ، عندما يكون الهدف هو إعاقة سيادة الإسلام وحاكميته في بلاد المسلمين ! ..

كذلك يعتمد التنصير - كما قال المُنَصِّر الشهير « صموئيل زويمر » [١٨٦٧ - ١٩٥٢ م] - على مذاهب الشك واللا أدرية ، لتشكيك المسلمين في دينهم ، إذا لم تنجح حملات التنصير في تحويلهم إلى النصرانية بدلاً من الإسلام ! ..

الكنائس الغربية والمشهد التنصيري

وإذا كانت هذه الأساليب « المكيافيلية - اللا أخلاقية » - ومثلها كثير - هي الشاهد الصادق على إفلاس الكنائس النصرانية المشتغلة بعملية التنصير للمسلمين .. فإن في دلائل

هذا الإفلاس ووقائعه ما هو أغرب وأعجب من هذا بكثير .

إن هذه الكنائس الغربية والشرقية ، المشغولة والمحمومة بتنصير المسلمين ، قد تركت « بيتها النصراني » حزبًا ، ينعق فيه البوم والغربان ! .. وبدلاً من أن تعمره ، انطلقت لتنصير المسلمين .. وكأنها تريد أن تخرب بيوت الآخرين كما خرّبت بيتها النصرانيّ !

لقد ظلّ الشرق لعدة قرون قلب العالم المسيحيّ .. فلما غرقت كنائسه في السفسطة اللاهوتية ، والاختلافات الحادة في ذات المعبود ، وقوانين الإيمان ، وثوابت الاعتقاد .. وظهر الإسلام ، بتوحيده الفطريّ والبسيط والعميق .. تحول الشرق في سرعة مذهلة عن المسيحية ، ليصبح القلب النابض للإسلام .

ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أوربا – ولعدة قرون – هي قلب العالم المسيحيّ .. لكن كنائسها قد غرقت في مستنقعات الحروب الدينية – بين البروتستانت والكاثوليك – تلك التي أُبيد فيها عشرة ملايين – أي ٤٠ % من شعوب وسط أوربا – ! .. وفي مستنقعات محاكم التفتيش ، التي دامت ثلاثة قرون ، ذهب ضحيتها الملايين حرقًا وغرقًا وعلى « الخازوق المقدس » الذي

قتل بواسطته الأحرار والعلماء والفلاسفة والمفكرون ! .. وكذلك في مستنقعات الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ، تلك التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] .. والتي كانت من بواكير الاستعمار الاستيطاني في التاريخ المكتوب ! ..

فلما خرجت هذه الكنائس - أو أُخرجت - من هذه المستنقعات ، وجدت « التنوير الوضعيّ » و « العلمانية اللا دينية » و « الفلسفة المادية » قد سحبت البساط من تحت « لاهوتها الخرافي » الذي أغرقت فيه هذه الكنائس رعاياها وخِرافها طوال تلك القرون ! .. أي وجدت « بيتها النصراني » خَرِبًا تنعق فيه البوم والغربان ! ..

وإذا كان رفاعة الطهطاويّ [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣ م] - عندما عاش في باريس [١٨٢٦ - ١٨٣١ م] قد وَصَفَ إفلاس تلك الكنائس الغربية عندما تحدَّث عن علاقة الأوربيين بالنصرانية ، فقال :

« إن أكثر أهل هذه المدنية - باريس - وبلاد الإفرنج - ليس لهم

من دين النصرانية إلا الاسم فقط ، حيث لا يتبعون دينهم ، ولا غيرة لهم عليه ، بل هم من الفرق المحسّنة والمقبّحة بالعقل وحده ، أو من الإباحيين الذين يقولون : إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك ، فهم لا يصدقون بشيء مما في كتب أهل الكتاب ، لخروجه عن الأمور الطبيعية .. ولهم في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية .. وحياتهم مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات » (١) .

إذا كانت هذه هي شهادة الطهطاويّ على « خراب البيت النصرانيّ الغربيّ » منذ ذلك التاريخ .. فإن وقائع العصر الحاضر تشهد على « عموم هذا الخراب » فنقول – وبالأرقام – :

إن الذين يؤمنون ـ في أوربا ـ بوجود إله في هذا الكون ـ مجرد وجود إله ـ لا يتعدون ١٤ ٪ من الأوربيين ! .. والذين يذهبون إلى « القداس » ـ مرة في الأسبوع ـ في فرنسا ـ « بنت الكاثوليكية » .. وأكبر بلادها ـ أقل من ٥ ٪ من السكان – أي أقل من ثلاثة ملايين .. أي أقل من نصف عدد المسلمين الفرنسيين ! .. و ١٠ ٪ من

---

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] جـ ١ ص ٥٤٤ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

الكنائس الإنجليزية معروضة للبيع، لعدم وجود المصلين! .. وفي جمهورية التشيك، لا يذهب إلى « القُدّاس » الأسبوعيّ إلا ٣ % من السكان .. ولذلك، فإن ٥٠ % من الكنائس زائدة عن الحاجة ومعروضة للبيع! .. وفي ألمانيا، توقف « القُدَّاس » في ١٠٠ كنيسة - من ٣٥٠ كنيسة - في أبرشية « آيسن » وحدها .. الأمر الذي دفع السلطات إلى تحويل الكنائس إلى أغراض أخرى! .. وكثير من الكنائس التاريخية ـ في أوربا ـ قد تحولت إلى ملاهي ومطاعم، يغني فيها المغنون .. بعد أن تحولت « مذابحها » .. إلى أفران « للبيتزا »! .. وأغلبية الغربيين لا يلتزمون في حياتهم ـ الخاصة والعامة ـ بمنظومة القيم النصرانية . والعلمانية ـ الدنيوية ـ التي حولت الإنسان إلى « شيء » يعيش لإشباع غرائزه وشهواته، قد دمرت الأسرة، فأدخلت الكثير من الشعوب الأوربية في « نفق الانقراض الديموجرافي » حتى إن بلادًا مثل ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا تزيد فيها نسبة الوفيات عن نسبة المواليد .. وهي مهددة بالانقراض في نهاية هذا القرن ـ كما يقول بابا الفاتيكان « بنديكتوس السادس عشر » على حين نجد المسلمين في

ألمانيا - وهم ٣ % من السكان - بلغت نسبة مواليدهم ١٠ % من المواليد في العشر سنوات الأخيرة !.. [(١)].

ولقد أدى هذا الإفلاس الكنسي - الذي أشرنا - مجرد إشارات - إلى طرف من نماذجه ومعالمه - إلى إفلاس كنسي أكبر وأفدح قاد هذه الكنائس الغربية إلى خيانة سجيتها - كما كان يقول شيخنا محمد الغزالي [١٣٣٥ - ١٤١٦ هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦ م] - عليه رحمة الله - . فغدت هذه الكنائس تتعايش مع الشذوذ الجنسي ! .. وتغض الطرف عن انتشاره ومهرجاناته ! . ومن هذه الكنائس من يزوج الشواذ زواجًا دينيًا في محاريب الكنائس ! .. بل ومنها من يقود قداديسها ويؤدّي الخدمة الدينية فيها - باسم يسوع المسيح - قساوسة شواذ ! .. وذلك فضلاً عن تستر كثير من هذه الكنائس على فضائح الشذوذ الجنسي في الكنائس والأديرة ! ..

* * * *

---

(١) انظر - في هذه الحقائق - نيوزويك - الطبعة العربية - عدد ٢٧ - ٢ - ٢٠٠٧م ، و « واشنطون بوست » و صحيفة « الدستور » في ٢٢ - ٩ - ٢٠٠٧م . و « البصائر » الجزائرية - عدد ٤ - ١٢ - ٢٠٠٦م . و « الشرق الأوسط » عدد ٢٦ - ٤ - ٢٠٠٦م .

وأمام هذه المستنقعات التي غرقت فيها كثرة من هذه الكنائس الغربية .. وأمام هذا الإفلاس .. رأينا ـ ونرى ـ قمة « العبثية ، واللا معقول » .. فبدلاً من أن تصلح هذه الكنائس من شأنها ، وترمم وتعمِّر بيوتها .. وتعمل على إعادة تنصير شعوبها .. رأيناها تعمل ـ في دأب محموم ـ على تنصير المسلمين ، مستغلة الكوارث التي يصنعها الاستعمار ـ الذي باركته وتباركه ـ في بلاد المسلمين ! .. ورأيناها تساوم المهاجرين المسلمين إلى أوربا ـ في معسكرات الاحتجاز ـ فتعرض النصرانية مقابل « الإقامة » و « جواز السفر » و« العمل » .. وإلا فالترحيل القسريّ إلى البلاد التي هاجروا منها !

كما تعرض ذلك على ضحايا الفقر والفاقة والعوز والبطالة والزلازل والحروب الأهلية في إفريقيا وآسيا – التي اعتصر الاستعمار الغربيّ خيراتها لخمسة قرون !! ..

هذه هي ميادين التنصير الغربيّ .. وتلك هي أولوياته .. التي جعلت منه القمة في « العبثية ، واللا معقول » .. إذ بدلاً من أن ترتب هذه الكنائس بيوتها .. وتحدد أولوياتها .. وتبدأ بمن تعول .. وتعلن أن « الأقربين هم الأولى بنصرانيتها

وخلاصها ! » .. نراها تنفق الجهود والأموال والأعمار في تنصير فقراء المسلمين ! .

* * * *

ولقد جرّت هذه الكنائس الغربية عددًا من الكنائس الشرقية إلى ذات المستنقع .. فاشتغلت هذه الكنائس الشرقية « بالتعصب الطائفيّ » بدلاً من إغناء الحياة الروحية لأبنائها ! .. فأدت الطائفية إلى ضمور الحس الوطني لدى قطاعات كبيرة من رعيتها ، فسعوا إلى الهجرة - التي تفرّغ مجتمعاتهم من الكفاءات ! ... وأدت هذه الطائفية إلى ضمور الحياة الروحية .. فسعى الكثير من أبناء هذه الكنائس إلى التحول للإسلام - الذي يشهد صحوة روحية وحضارية هي أعظم ظواهر العصر الذي نعيش فيه ... ولم يغن هذه الكنائس عن الإفلاس - بل زاد منه - تحويلها الكنائس إلى قلاع ، بدلاً من البساطة التي تميزت بها عبر التاريخ ! .. وتحويلها الأديرة إلى قلاع ومؤسسات إنتاج إقطاعيّ ورأسماليّ بدلاً من رسالتها التاريخية - كبوابة لمملكة السماء .. البعيدة عن هذا العالم ! ...

ولقد أفضى هذا الطريق بهذه الكنائس إلى واقع تتحدث أرقامه عن دخولها برعيتها عصور الانقراض ! ..

ويكفي أن نعلم أن فلسطين - بلد المسيح .. ومهد المسيحية - قد تناقص تعداد المسيحيين فيها من ٢٠ % إلى ١٫٨ % .. وأن المسيحيين المقدسيين قد باع الكثيرون منهم أرضهم وبيوتهم للصهاينة، وهاجروا إلى بلدان « الرفاهية المادية » .. حتى إن عدد هؤلاء الذين يعيشون منهم في استراليا الآن يزيد على عدد المرابطين منهم في عاصمة المسيحية والمسيح ! .. وكذلك الحال مع تعداد النصارى في الكثير من البلاد العربية ..

وفي مصر - حيث أقدم كنائس الشرق .. وأكبر الأقليات المسيحية الشرقية .. توقع المفكر والكاتب والأستاذ القبطي - الأرثوذكسيّ - الدكتور كمال فريد إسحٰق - أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية - في دراسة له - « **انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام** » **مؤكّدًا أن نسبة المسيحيين المصريين تقلُّ تدريجيًا، وذلك لأسباب ثلاثة : أولها : الهجرة إلى الخارج. وثانيها : اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامي. وثالثها : أن مُعَدَّل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف، على عكس المسلمين. وأن هؤلاء المسيحيين المصريين – لذلك –**

سينقرضون في زمن أقصاه مائة عام »[١] .

أما الكاتب والباحث القبطيّ سامح فوزي .. فلقد كتب عن انقراض المسيحيين الشرقيين في الأمد القريب .. يقول : « إن تعداد المسيحيين في المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر مليونًا .. ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام ٢٠٢٠ م ، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين ، وهكذا تصبح المنطقة العربية على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الدينيّ ، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان .. وتشير الدراسات إلى أن تعداد المسيحيين في تركيا كان مليوني نسمة سنة ١٩٢٠ م ، ولقد تناقص الآن إلى بضعة آلاف .. وفي سوريا كان تعداد المسيحيين في بداية القرن العشرين ثلث السكان .. ولقد تناقص الآن إلى أقل من ١٠ ٪ . وفي لبنان كان المسيحيون يشكلون سنة ١٩٣٢م ما يقرب

---

(١) صحيفة [المصري اليوم] عدد ١٢ ـ ٥ ـ ٢٠٠٧م .. ولقد قدم الدكتور كمال فريد إسحق دراسته هذه في الندوة الشهرية التي عقدتها مجلة « الكتيبة الطبية » ـ الإرثوذكسية ـ .

من ٥٥ ٪ من السكان .. ولقد أصبح عددهم الآن يدور حول ٣٠ ٪ . وفي العراق تناقص عدد المسيحيين من ٨٠٠٠٠٠ - على عهد صدام حسين - إلى بضعة آلاف بعد الاحتلال الأمريكيّ . وفي القدس .. قال الأمير الحسن بن طلال : إنه يوجد في سدني - باستراليا - مسيحيون من القدس أكثر من المسيحيين الذين لا يزالون يعيشون في القدس ! .. » (١) .

ولقد نشرت « نيوزويك الأمريكية » عدد ١٥/١/٢٠٠٨ « أن الكثيرين من المسيحيين المصريين يرحلون عن مصر ، وهناك الآن ما بين ١٢ و ١٥ مليون مسيحي عربي في الشرق الأوسط ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط بحلول عام ٢٠٢٥ . وبدأت دول الشرق الأوسط تشهد تحوّلًا ملحوظًا من هذه الناحية : ففي عام ١٩٥٦ كان المسيحيون اللبنانيون يمثلون ٥٦٪ من مجموع سكان لبنان ، أما الآن فليس هناك أكثر من ٣٠٪ . وقد انخفض عدد المسيحيين في العراق من

---

(١) سامح فوزي ـ مقال بعنوان [ماذا لو رحل المسيحيون ؟] ـ صحيفة وطني] - القبطية ـ عدد ٢٧ ـ ٥ ـ ٢٠٠٧م

٤و١ مليون شخص عام ١٩٨٧ إلى ٦٠٠ ألف حاليا . وكانت مدينة بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح مدينة ٨٠٪ من سكانها مسيحيون حين تأسست دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ . أما الآن فلا يمثل المسيحيون فيها أكثر من ١٦٪ .

وحسب « درو كريستيانسن » رئيس تحرير « مجلة أمريكا » فإنه في ظل هذا الرحيل الجماعي للمسيحيين العرب يتم فقدان الممارسات والثقافات القديمة . والمسيحيون الشرق أوسطيون في نهاية المطاف يخاطرون بالامتزاج في بحر المسيحية الغربية » .

ومع كل هذا البلاء الذي أنزلته هذه الكنائس الشرقية برعيتها ، لا نرى من عقلائها من يدعو إلى مراجعة الحسابات .. وإعادة ترتيب الأوليات .. والاشتغال بالحياة الروحية التي تجذب أبناء هذه الكنائس إلى أوطانهم .. بدلاً من الطائفية والانعزالية والتعصب والطموح السياسيّ .. والانصراف إلى جمْعِ الأموال وتكديس الثروات ! .. وبدلاً من الانشغال بتنصير المسلمين !! ..

ذلك هو « المشهد التنصيريّ » .. الذي صنعته الكنائس الغربية .. ثم جرّت إليه عددا من الكنائس الشرقية .. وهو مشهد عبثيّ .. يبلغ في العبثية قمة اللا معقول ..

ومع ذلك كله، يصدر الفاتيكان الإعلانات عن « حقه وواجبه في التنصير » .. وتتحدث قيادات في الكنائس الشرقية عن أن التنصير هو تكليف مقدس كلفهم به المسيح .. مع أن المسيح – عليه السلام - قد بُعث - حصرًا - إلى « خِراف بني إسرائيل » .. وليس بين هؤلاء المُنَصِّرين - وفي الغرب أو الشرق - من لديه شجاعة التنصير في بني إسرائيل !! ..

فقط .. كلُّ هَمِّهم هو تنصير فقراء المسلمين ! ..

وإذا كان لله في خلقه شئون .. فإن بعض هذه الشئون تصل إلى قمة الجنون ! .. ولا حول ولا قوة إلا بالله الواحد الأحد . الفرد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

سبحانه .. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٦ محرم سنة ١٤٢٩هـ — دكتور

١٥ يناير سنة ٢٠٠٨م — محمد عمارة

تمهيد

كثيرٌ من الأوربيين والغربيين يسألون كثيرًا من المسلمين :

لماذا تمنعون حرية التنصير في بلادكم الإسلامية في الوقت الذي تدعون فيه إلى الإسلام في البلاد الغربية ، وتنشرون فيها دينكم ، الذي يُحْرِز انتصارات ملحوظة في خارج عالم الإسلام ؟! ..

وكثير من المسلمين يَحارُون في الجواب المنطقي ، والخالي من العصبية والتعصب ، على هذا السؤال .

والرأي عندي أننا لابدَّ وأن نُصَارِحَ هؤلاء السائلين بالفروق الجوهرية بين مكانة الإسلام في الدول الإسلامية ، وموقف هذه الدول معه ..

وبين حال الدين في المجتمعات العلمانية الغربية ، وموقف تلك الحكومات العلمانية من الدين - مطلق الدين - ...

والفارق بين منهاج الدعوة إلى الإسلام ومناهج التنصير والمنصرين ..

وهذه الفروق الجوهرية يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

الفرق الأول

إنّ **الإسلام يتميز بأنه دين ودولة ، ومن ثَمّ فإن حكومات الدول الإسلامية لا يمكن أن تكون محايدة إزاء هذا الإسلام** ؛ لأنه مقوّم من مقوّمات الاجتماع والسياسة والتشريع والنظام ... ومن ثَمّ فإن زعزعته هي زعزعة لمقوّم من مقوّمات المجتمع ونظامه .. وليس هكذا حال الدين في المجتمعات العلمانية ، وخاصة في ظلّ النصرانية التي تَدَعُ مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ ، وتقف عند خلاص الروح ومملكة السماء ؛ لأن إنجيلها ينصُّ على أن مملكة المسيح - عليه السلام - هي خارج هذا العالم .. وهي - لذلك - قد خلت من السياسة والقانون .

ولهذه الحقيقة ، ولهذا الفارق الجوهري ، تنفرد المجتمعات الإسلامية بالنصّ في دساتيرها على أن « الإسلام دين الدولة » ، كما تجعل « منظومة القيم الدينية » هي « الآداب العامة » التي تحميها الدولة والقانون .. ومن ثَمّ فإن هذه الدول الإسلامية تحافظ على دينها هذا ، فلا تفتح

الأبواب أمام حرية زعزعته أو ازدرائه أو الخروج على ثوابته في الاعتقاد والأخلاق والتشريع .

إن الإخلاص للإسلام الدين ، ومن ثَمَّ حمايته ، لا يَقِلَّانِ - في الدول الإسلامية - عن الإخلاص والحماية للوطن والولاء له .. ومن ثَمَّ تحريم وتجريم الخيانة له أو الخروج عليه أو التفريط فيه .. وتلك خصيصة من خصائص المجتمعات الإسلامية ، تفرق بينها وبين المجتمعات العلمانية واللادينية ، التي تقف حكوماتها محايدة إزاء الدين - مطلق الدين - ..

ولقد رأينا مجتمعات غير إسلامية اتخذت لنفسها عقيدة فلسفية - مثل الماركسية في البلاد الاشتراكية والشيوعية - فحافظت عليها كمقوِّم من مقوِّمات الاجتماع ونظام الحكم ، ومنعت - بالدساتير والقوانين - التبشيرَ في مجتمعاتها بأية عقيدة مضادة لعقيدتها وفلسفتها .

فالدولة القائمُ نظامُها على عقيدة دينية أو مذهب فلسفي ، لها موقف متميز عن الدول التي تتخذ موقفًا محايدًا إزاء العقائد والديانات والفلسفات ..

الفرق الثاني

إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتعرض الآن إلى حرب ضروس معلنة من قِبَلِ مؤسسات الهيمنة السياسية الغربية ، والمؤسسات الدينية الغربية ، وكثير من مؤسسات الإعلام الغربية العملاقة .

ومع ضعف إمكانات « الحمايات الفكرية » في البلاد الإسلامية المستضعفة ، كان منع حرية « التنصير الرسمي » هو بمثابة « حماية الصناعات الوطنية الضعيفة » في حال انعدام تكافؤ الفرص والإمكانات عند اجتياح الأقوياء للضعفاء ..

إن « النشرة الدولية لبحوث الإرساليات النصرانية » قد رصدت - سنة ١٩٩١ - ما لدى إرساليات التنصير الأمريكية - وحدها - من إمكانات ، فإذا هي « جيش » فيه :

٠٠٠ و ١٢٠ (مائة وعشرون ألف مؤسسة تنصيرية) .

٠٠٠ و ٩٩ (تسعة وتسعون ألفا ومائتا معهد لتأهيل المُنَصِّرين الرسميين وتدريبهم) .

٢٥٠ و ٢٠٨ ر ٤ (أربعة ملايين ومائتان وثمانية آلاف

ومائتان وخمسون مُنَصِّرًا رسميًا محترفًا) .

٠٠٠ و ٠٠٠ و ٨٢ (اثنان وثمانون مليونا من أجهزة الكومبيوتر) ..

٩٠٠ و ٢٤ (أربعة وعشرون ألفا وتسعمائة مجلة) .

٣٤٠ و ٢ (ألفان وثلاثمائة وأربعون محطة للإذاعة والتلفاز) ..

ولقد أصدرت هذه المؤسسة التنصيرية ووزعت - في عام واحد - :

٦١٠ ر ٨٨ (ثمانية وثمانين ألفا وستمائة وعشرة كتاب تنصيري) .. وذلك غير نسخ « الكتاب المقدس » التي بلغ عدد ما وُزِّع منها - في عام واحد - :

٠٠٠ و ٠٠٠ ر٥٣ (ثلاثة وخمسون مليون نسخة) ..

وفي مدارس هذه الإرساليات التنصيرية يدرس :

٠٠٠ و ٠٠٠ و ٩ (تسعة ملايين طالب في رياض الأطفال وحدها) .. يدرسون في : ٦٧٧ و ١٠ (عشرة آلاف وستمائة وسبعة وسبعون مدرسة) .

ولقد خصّ إفريقيا وحدها من مؤسسات هذه الإرساليات

التنصيرية : ٠٠٠ و ١٤ (أربعة عشر ألف مُنَصِّر محترف) ..

و ٠٠٠ و ١٦ (ستة عشر ألف معهد للتنصير) ..

و ٥٠٠ (خمسمائة مدرسة لاهوتية) ..

و ٦٠٠ (ستمائة مستشفى) ..

أما ميزانية هذا « الجيش التنصيري » فإنها تبلغ :

١٦٣ مليارًا من الدولارات .. ودخل الكنائس العاملة في هذا الحقل هو ٣٢٠ ر ٩ مليارا من الدولارات .

وهذا « الجيش التنصيري » الأمريكي يقوده « معهد زويمر » - الذي أقيم سنة ١٩٧٨ م - ليمثل « المخ والجهاز العصبي » للحملة الأمريكية لتنصير المسلمين ! ..

فهل هناك ذَرَّة من التوازن بين هذا الجيش - الذي يمثل الكنيسة الأمريكية وحدها - وبين الأفراد المسلمين الذين يدعون إلى الإسلام ؟ ! ..

وهل يصح أن تُسْتَنْكر إجراءات « الحماية » التي تمنع « التنصير الرسمي » في البلاد الإسلامية المستضعفة إزاء هذا الاجتياح ؟ !

ثم .. إن الاجتياح التنصيري لا يخفى أنه يعمل بالاعتماد

المتبادل مع قوى أخرى عاتية .. ففي « مؤتمر كولورادو » - الذي عقدته الكنائس الأمريكية سنة ١٩٧٨ م ، لرسم الخطة الجديدة لتنصير المسلمين - أعلنوا أنهم إنما يعملون على تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية .. وبنص توصيات هذه المؤتمر : « **يجب أن يتمَّ كسبُ المسلمين عن طريق مُنَصِّرين مقبولين داخل مجتمعاتهم .. ويُفَضَّل النصارى العرب في عملية التنصير** » ! .

كما يعمل هذا الاجتياح التنصيري بالاعتماد المتبادل مع المدّ الاستعماري الغربي في ديار الإسلام .. فالجيوش التي زحفت على العراق - في مارس سنة ٢٠٠٣ - قد دخل في ركابها ٨٠٠ (ثمانمائة مُنَصِّر) من عتاة قساوسة اليمين الديني الأمريكي معلنين - كما جاء في « نيوزويك » الأمريكية - أنهم قد جاءوا لنشر المسيحية في بغداد !! ..

وفي هذه البلاد التي ابتليت بالغزو الاستعماري ، يصنع الاحتلال الكوارث التي تخلّ بتوازن الضحايا .. ليأتي المُنَصِّرون فيقدِّمون « المعونات » لهؤلاء الضحايا في مقابل

تحولهم عن الإسلام ! .. وبنصّ وثائق « مؤتمر كولورادو » :

« فإنه لكي يكون هناك تحوّل إلى النصرانية ، فلابدّ من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها - كالفقر والمرض والكوارث والحروب والتفرقة العنصرية والوضع الاجتماعي المتدني - وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد جعلت حكوماتها أكثر تَقَبُّلًا للنصارى والمُنَصِّرين » !! .

فالاستعمار يصنع الكوارث في البلاد الإسلامية .. والتنصير يستغلُّ هذه الكوارث - التي يعدُّها المُنَصِّرون « معجزة العصر » ! .. كي يبيع الضحايا إسلامهم لقاء كسرة خبز أو جرعة دواء ! .. وعلى أرض كثير من البلاد الإسلامية التي اجتاحتها الجيوش الاستعمارية - وفي معسكرات ومخيمات اللاجئين المسلمين ، الذين يمثلون أغلبية اللاجئين على نطاق العالم ! - يتمُّ هذا المخطط للتنصير .. في أفغانستان .. والعراق .. والسودان .. والصومال .. والشيشان .. وداغستان .. وأندونيسيا .. والفلبين .. إلخ .. إلخ .. .

كذلك يعمل هذا الاجتياح التنصيريّ بالاعتماد المتبادل مع ركائزه التي أقامها في البلاد التي احتلتها جيوش بلاده الاستعمارية .. وكنموذج لذلك كوريا الجنوبية .. فلقد احتلتها الجيوش الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، وحولتها إلى قاعدة عسكرية أمريكية ..

ثم جاءت الكنيسة الأمريكية لِتُنَصِّرَ ربع سكان كوريا الجنوبية ، ولتجعل من « كنيسة صايمل » - التابعة لليمين الدينيّ الأمريكيّ - « قاعدة دينيّة » تزامل القاعدة العسكرية !.. وليعمل المُنَصَّرون الكوريون مع المنصرين الأمريكيين جنبًا إلى جنب - وبتمويل أمريكي - حتى لقد بلغ عدد المُنَصَّرين الكوريين الرقم التالي - على النطاق العالمي - لعدد المنصرين الأمريكيين ! ..

ولقد أرسلت هذه الكنيسة الكورية إلى البلاد الآسيوية وحدها ٠٠٠ و ١٦ مُنَصِّر ، كان نصيب البلاد الإسلامية منهم ٢٥ ٪ من هؤلاء المُنَصِّرين الكوريين ! .. بل لقد امتدَّ نشاطهم إلى القارة الإفريقية .. وإلى مصر - بلد الأزهر

الشريف . فنشرت صحيفة [الأهرام] - في ١٠ - ٩ - ٢٠٠٧ م - أن هؤلاء المُنَصِّرين يعملون - تحت لافتات أخرى - في عشر محافظات مصرية !! ..

كذلك يعمل هذا الجيش التنصيري العالمي - باعتراف وثائق مؤتمر كولورادو - بالاعتماد المتبادل مع « العمالة المدنية » الغربية المنتشرة في مختلف بلاد الإسلام .. وهي العمالة التي يفوق عددُها عددَ المُنَصِّرين الرسميين مائة ضعف !! .. فيدربها المُنَصِّرون الرسميون على التنصير في معسكرات منظمة .. ويوجهونها إلى تنصير المسلمين ، وخاصة في البلاد الإسلامية التي لا تفتح أبوابها للمنصرين الرسميين ! ..

فهل بعد هذه الإشارات - وهي مجرد إشارات - إلى حقائق الاجتياح التنصيري ، يكون هناك وهم عن وجود تكافؤ في موازين القوى بين « الدعوة إلى الإسلام » وبين « التنصير » حتى يكون هناك تساؤل :

لماذا يمنع المسلمون - في بلادهم - حرية التنصير لقاء حريتهم في الدعوة إلى الإسلام ؟ ! ..

بل إن هذا المخطط التنصيري يعترف بأنه - في سبيل تنصير المسلمين - يلجأ إلى « الميكيافيلية » ، وتنحية القيم والأخلاق ! .. فهم يعلنون عزمهم على :

اختراق القرآن .. بدلًا من مواجهته ! .. وصبِّ المضامين النصرانية في مصطلحاته وتأويلاته ! .. وكذلك العمل من خلال الثقافة الإسلامية ! .. وفي ذلك يقولون :

« من الممكن في بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلق باستعمال المصطلحات القرآنية ، مع اهتمام خاص إلى الثقافات الإسلامية ، وتكييف اللغة لحروف خاصة ، واستعمال الألقاب التبجيلية والتعبيرات القرآنية . وذلك مثل استخدام « بولس الرسول » للإله الإغريقي المجهول » !! .

وكذلك إيقاع الأطفال - غير المميزين - في حبائلهم .. وفي ذلك يقولون : « **وتسعى (رابطة تنصير الأطفال) و (إرسالية الخدمات الخاصة) لاستمالة الأطفال إلى جانب المسيح عن طريق تنظيم اجتماعات الأطفال وتجمعاتهم في مدرسة يوم الأحد ، وتقديم الوسائل السمعية**

والبصرية لتشيجع الأطفال على تسليم أرواحهم للمسيح » !

فبعد اصطياد الضحايا الذين أخلّت الكوارث بتوازنهم .. يصطادون الأطفال قبل سنّ التمييز ! .. بل إن هذه المنظمات التنصيرية تمارس – تحت لافتات المنظمات الخيرية والإغاثية – عمليات خطف الأطفال لتنصيرهم .. حدث ذلك إبان حرب البوسنة والهرسك – ١٩٢٢ – ١٩٩٥ م – .. وأثناء كارثة « السونامي » الذي أصاب أندونيسيا المسلمة – سنة ٢٠٠٦ م .. ومع أطفال دارفور السودانيين ، وأطفال تشاد .. ولقد تفجرت أحدث فضائح اختطاف جميعة « أرش دزويه » الفرنسية للأطفال المسلمين التشاديين في نوفمبر سنة ٢٠٠٧ م . وأحدثت أزمة مكتومة بين تشاد وفرنسا .

كما اشتكى من هذه « النخاسة التنصيرية » الرئيس السوداني عمر البشير يوم ١٤ نوفمبر سنة ٢٠٠٧ م .. وأذاعت ذلك كله أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

كما يعترف هؤلاء المُنَصِّرون بأن « الإرساليات التنصيرية تعتبر أن نمو المادية والعلمانية قد يؤدي إلى تخفيف حدة

العداء لتنصير المسلمين ! » !! .. فيتوسلون إلى تنصير المسلمين حتى بالكفر والجحود والإنكار لمطلق الدين !! ..

ولقد رفضوا الالتزام « بالحرية والإقناع » في عملية التنصير ، ولم يستبعدوا « الجهود القسرية » في تحويل المسلمين عن دينهم .. وعلَّقوا على بيانات (مجلس الكنائس العالمي) التي تتحدث عن « الحوار والحرية والإقناع » فقالوا :

« إن المجلس لا يرى الحوار بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية .. بل ربما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير ، وإن هذه البيانات الجديدة لا تعني تخلي المجلس عن مواقفه المناصرة للجهود القسرية والواعية والمعتمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر » (١) .

* ***

---

(١) انظر في ذلك كله : وثائق مؤتمر كولورادو [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي] ـ الترجمة العربية ـ طبعة مالطا سنة ١٩٩١م .. وكذلك كتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] طبعة القاهرة ١٩٩٨م . و د . السيد ولد أباه ـ صحيفة [الشرق الأوسط] ـ لندن ـ في ٢٣ ـ ١١ ـ ٢٠٠٧م .

الفرق الثالث

في ظل وجود مؤسسات عملاقة ، ذات إمكانيات بشرية وتقنية ومادية هائلة ، متخصصة في ميدان التنصير للمسلمين ، فإن هذا التنصير قد خرج عن أن يكون مجرد دعوة إلى النصرانية ليصبح أداة من أدوات الغزو الفكري والتغريب والمسخ الحضاري ، الذي يستعين على ذلك كله حتى بالاستعمار وجيوشه وحكوماته ..

ولقد رأينا ذلك وخبرناه وعانينا منه في إفريقيا وآسيا ، عندما تمّ تنصير قطاعات كبيرة من البلاد الإسلامية بواسطة الحماية الاستعمارية للمنصرين – حدث ذلك في الفلبين .. وأندونيسيا .. والجزائر ..

ويحدث ذلك الآن على أرض أفغانستان والعراق والشيشان والسودان والصومال « لذلك » لم يكن التنصير ـ ولم يعد ـ مجرد دعوة إلى النصرانية « لهداية » إنسان إلى طريقها في « الخلاص » .. وإنما كان ـ ولا يزال ـ جزءًا من الحرب الاستعمارية الغربية على عالم الإسلام وأمته وحضارته .. في

الوقت الذي لم يكن فيه للإسلام - تاريخيًا .. وحتى الآن - مؤسسات تبشيرية .. وإنما اعتمد في انتشاره على القدوة والأسوة والموعظة الفردية الحسنة .. وتمت أغلب انتصاراته وانتشاراته في ظلِّ الضعف والاستضعاف للحكومات التي حكمت بلاده ! ..

الفرق الرابع

إنَّ المسلمين الذين يدعون غيرهم إلى الإسلام ، لا يخلو هؤلاء المدعوون من أحد ثلاث حالات :

أ - أن يكون المدعوّ وثنيًا ، ليس على دين من الديانات السماوية الثلاث .. وفي هذه الحال تكون دعوة الوثني - أو اللاديني - إلى الإسلام هي دعوة للإيمان بالديانات السماوية الثلاث - التي يتفرد الإسلام بالإيمان بها ، والاحتضان لأصولها ، والاحترام لكتبها ورسلها .. **ومن ثَمَّ فإن الدعوة إلى الإسلام والتبشير به بين الوثنيين واللادينيين لا يمثل كفرًا أو ازدراء لأي من الديانات السماوية ، بل على العكس ، فإن فيه التبشير بكل نبوات السماء ورسالاتها**

وشرائعها وكتبها ومنظومات قيمها وأخلاقها .. .

ب – وفي حال ما إذا كان المدعوّ إلى الإسلام يهوديًا ، فإن دعوته إلى الإسلام لا تمثّل ازدراء لليهودية ولا للنصرانية ، ولا كفرًا بهما .. وإنما هي – على العكس – **تتضمن بقاء الإيمان والاحترام لليهودية .. وإضافة الإيمان والاحترام للنصرانية والإسلام ..**

فانتقال اليهودي – ونقله – إلى الإسلام ، يضيف لإيمانه باليهودية ، ولا ينتقص من يهوديته ، ولا يمثّل أي ازدراء لكتابها ولا لشريعتها ولا لأنبيائها .. وليس كذلك الحال في التبشير باليهودية – إذا حدث ، لأن الانتقال من المسيحية أو الإسلام إلى اليهودية فيه كُفْرٌ بهما وازدراء لهما .. الأمر الذي لا يسوي بين دعوة اليهودي للإسلام وبين دعوة النصراني أو المسلم إلى اليهودية ، من حيث الإيمان والاحترام لمجمل الديانات السماوية الثلاث .

ج – وكذلك الحال إذا كان المدعوّ إلى الإسلام نصرانيًا ،

فإن انتقاله من النصرانية إلى الإسلام فيه الحفاظ على إيمانه

باليهودية وبالنصرانية ، مع إضافة الإيمان بالإسلام - كتابه وشريعته ورسوله - إلى ما لديه من إيمان .. فليس في هذه الدعوة للنصراني إلى الإسلام أي كفر بمجمل ما لديه ، ولا أي ازدراء لوصايا إنجيلية ومنظومة القيم والأخلاق الحاكمة لإيمانه الديني ..

إنها دعوة له كي يصعد درجة على « سلَّم » النبوّات والرسالات والكتب والشرائع التي توالى نزولها من الله الواحد إلى الإنسان .. إنها دعوة إلى إضافة قداسة مكة وحرمتها إلى قداسة القدس وحرمتها .. وليست انتقاصًا من قداسة مقدسات الآخرين ..

بينما دعوة النصرانيِّ المسلمَ إلى النصرانية فيها دعوةٌ إلى الكُفْر بدين سماوي ، والجحود بكتاب سماوي ، والازدراء لرسول الإسلام وشريعته الخاتمة .

وعن هذا الفارق الجوهري بين دعوتنا الآخرين إلى الإسلام ، وبين دعوتهم لنا إلى شرائعهم تحدَّث الصحابي حاطب بن أبي بلتعة [٥٣ ق هـ - ٣٠ هـ / ٥٨٦ - ٦٥٠م]

في حواره مع المقوقس ـ عظيم القبط ـ سنة ٧ هـ سنة ٦٢٨ م عندما حمل إليه رسالة رسولنا ﷺ ..

فلقد جاء في هذا الحوار ما يؤكد هذه الحقيقة .. حقيقة أن الدعوة إلى الإسلام هي دعوة إلى « إضافة » وليست دعوة إلى « انتقاص » أو « كُفْر » أو « جحود » أو « ازدراء » كما هو الحال في دعوات الآخرين وتبشيرهم .. الأمر الذي يعطي الشرعية والمشروعية والمنطق والعدل للدعوة للإسلام على وجه الخصوص والتحديد .

لقد بدأ المقوقس بسؤال حاطب :

ما الذي يمنع صاحبك ـ [أي الرسول] ـ إن كان نبيًا ـ أن يدعو عليّ ، فيُسَلَّط عليّ ؟ !

فأجاب حاطب :

منعه الذي مَنَعَ عيسى بن مريم أن يدعو على مَنْ أَبى عليه أن يُفْعَل به ويُفْعَل ! ـ [فوجم المقوقس ساعة ـ [أي فترة] ـ ثم استعاد إجابة حاطب .. فأعادها عليه حاطب .. فسكت المقوقس] .

وهنا استأنف حاطب الحوار ، فقال للمقوقس :

إن لك دينًا - [أي النصرانية] لن تدعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه . وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به » [١] .

وهكذا .. ومنذ اللحظات الأولى لخروج الدعوة إلى الإسلام من شبه الجزيرة العربية .. كانت الدعوة إلى الإسلام بمثابة « الإضافة » لا « الانتقاص » مما لدى الآخرين .. وبمثابة المزيد من الاحترام لمجمل ما عندهم ، لا الازدراء لأي من الثوابت التي اجتمعت عليها طوائفهم ومذاهبهم . وبمثابة إضفاء القدسية على جميع الرموز الدينية ، التي لم يتمّ تقديس جميعها إلا في إطار الإسلام .

إن اليهوديَ كافر بالنصرانية والإسلام ، وجاحد لهما ، ومزدري لرموزهما وعقائدهما . فإذا دخل اليهودي النصرانية

---

(١) ابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص ٤٦ . طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م .

أضاف الإيمان بها والاحترام لها إلى ما كان لديه .. وظلَّ على كُفْره وجحوده وازدرائه للإسلام .. فإذا ما دخل النصراني إلى الإسلام فإنه يضيف إلى إيمانه واحترامه لليهودية والنصرانية الإيمانَ والاحترام للإسلام ، ولكل مواريث النبوّات والرسالات والشرائع والكتب التي مثّلت هدى السماء إلى الإنسان ، على مرّ تاريخ النبوّات والرسالات .

إن اليهودي هو أشبه ما يكون - إزاء الديانات السماوية - بالحاصل على « شهادة الإعدادية » . فإذا دخل النصرانية كان كمن أضاف « شهادة الثانوية » إلى « الإعداية » فإذا دخل النصرانيّ إلى الإسلام كان كمن أضاف « الشهادة الجامعية » إلى « الإعدادية » و « الثانوية » .

ومن هنا كان الفارق الجوهري بين التبشير بالإسلام وبين التبشير بغيره من الأديان .. فارق الإضافة للإيمان والاحترام للرموز الدينية .. بدلًا من الانتقاص والازدراء .

إن الفيلسوف الفرنسي « روجيه جارودي » عندما اعتنق الإسلام قد أضاف إلى إيمانه بموسى وعيسى الإيمان

بمحمد .. وأضاف إلى إيمانه بالتوراة والإنجيل الإيمانَ بالقرآن .. وأصبح داعية إلى ملة إبراهيم ، الذي هو الأب لجميع هؤلاء الأنبياء » . بينما سلمان رشدي – الذي ارتدَّ عن الإسلام – قد نكص عن الإيمان بالإسلام وكتابه وشريعته ورسوله .. وأحل ازدراءه لهذا الدين السماوي محلَّ الاحترام الذي كان قائمًا قبل الارتداد ..

ذلك أن التصديق بالوحي القرآني هو تصديق بمطلق الوحي الإلهي لجميع الأنبياء والمرسلين على امتداد تاريخ النبوات والرسالات : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ولهذه الحقائق – الموضوعية والمنطقية والعقلية – كان الحقّ والعدل والإنصاف في مَنْع الدول الإسلامية التنصير الرسمي في مجتمعاتها .. لأنه ليس حجرًا على الحرية المشروعة ، وإنما هو حماية لمقوّم أساسي من مقومات الدولة والمجتمع .. وحرص على عدم الانتقاص من مجمل الإيمان بكامل الشرائع الدينية .. ومنع لازدراء أي من الديانات السماوية .. فبالإسلام يكتمل الإيمان بالدين الإلهي الواحد ، والاحتضان للشرائع السماوية المتعددة ، والاعتراف بكل الكتب السماوية .. من صحف إبراهيم وموسى .. إلى إنجيل المسيح عليه السلام .. إلى القرآن الكريم الذي نزل على الرسول الخاتم – عليه الصلاة والسلام – مصدقا لما بين يديه من كتاب – مطلق كتاب – :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

علماء الغرب يشهدون بتميز دعوة الإسلام

ولأن هذه هي حقيقة الدعوة إلى الإسلام - إضافة إيمانية - وليست - كالتبشير بالديانات الأخرى - انتقاصًا وكفرًا وازدراءً - .. كانت الأبواب التي تفتحت أمام الدعوة الإسلامية - تاريخيًا وحتى الآن - دون إكراه .. أو عنف .. أو حتى « مؤسسة » للدعوة والتبشير بهذا الإسلام .

ولقد شهد على هذه الحقيقة عدد كبير من علماء الغرب - الخبراء في جميع الديانات وتاريخ هذه الديانات - شهدوا على تَمَيُّزِ الإسلام وتَمَيُّزِ الدعوة إليه .. تَمَيُّزه بالعقلانية .. وتَمَيُّز الدعوة إليه بالسلم والموعظة الحسنة » .

• فقال « جورج سيل » G. Sale (١٦٩٧ - ١٧٣٦ م) الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية : « **لقد صادفت شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له في العالم .. وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحدِّ السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا ..** »[١] .

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٨٥ ، ترجمة : د . حسن إبراهيم ، د . عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي . طبعة القاهرة ١٩٧٠م .

* وقال سير توماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠ م] وهو العلاَّمة الحجة في الاستشراق وفي دراسة السبل التي انتشر بها الإسلام - وصاحب الكتاب العمدة في هذا الميدان - :

« لقد قيل إن « جستنيان » [٤٨٣ - ٥٦٥ م] الإمبراطور الروماني - أمر بقتل مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية ، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم يَنْعَمُوا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان .. وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين . بل لقد تحوَّل كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتمَّ الفتح ، حين كانت الإسكندرية - حاضرة مصر وقتئذ - لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نَهْجِ

إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة »(١) .

« .. ونستطيع أن نستخلص بحق أن القبائل العربية المسيحية التي اعتنقت الإسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح .

ولاشك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة ، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية ، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلًا من الجزية الصدقات الشرعية ، وهي الزكاة التي كانت تفرض سنويًا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية .

ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة - [الجزية] - على المسيحيين - كما يريدنا بعض الباحثين على الظن - لونًا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، وإنما

---

(١) المصدر السابق . ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة – وهم غير المسلمين من رعايا الدولة ، الذين كانت ديانتهم تَحُول بينهم وبين الخدمة في الجيش ، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين .

ومِن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي ، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة – وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية – سالمت المسلمين ، وتعهدت أن تكون عونًا لهم ، وأن تقاتل معهم في مغازيهم ، على شريطة ألا تؤخذ منها الجزية ، وأن تُعطى نصيبها من الغنائم .

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس في سنة ٢٢ هـ أُبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التيَ تقيم على حدود هذه البلاد ، وأُعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية .

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية ، في حالة

المسيحيين الذين عملوا في الجيش أو الأسطول في ظلّ الحكم التركي ، مثال ذلك ما عُومل به أهل « ميغاريا » Migaris – وهم جماعة من مسيحي ألبانيا الذين أُعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على جبال Cerones Cithaeron التي كانت تؤدي إلى خليج كورنثة .

وكان المسيحيون الذين استُخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركي لإصلاح الطرق وإقامة الجسور ، قد أُعفوا من أداء الخراج ، ومُنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب ، وكذلك لم يدفع أهالي Hydre المسيحيون ضرائب مباشرة للسطان ، وإنما قدموا في مقابلها فرقة من مائتين وخمسين من أشد رجال الأسطول التركي كان ينفق عليهم من بيت المال في تلك الناحية .

وقد أُعفى أيضا من الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية ، الذين يُطلق عليهم Armaloli وكانوا يؤلفون عنصرا هامًا من عناصر القوة في الجيش التركي خلال القرنين السادس

عشر والسابع عشر الميلاديين ، ثم المرديون Mirdites – وهم قبيلة كاثوليكية ألبانية كانت تحتل الجبال الواقعة شمالي أسكدار Scatari وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة في زمن الحرب .

وبتلك الروح ذاتها لم تقرر جزية الرءوس على نصارى الإغريق الذين أشرفوا على القناطر التي أمدت القسطنطينية بماء الشرب ، ولا على الذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة نظرًا لما قدموا للدولة من خدمات .

ومن جهة أخرى أُعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام ، وفُرضت عليهم الجزية في نظير ذلك ، كما فرضت على المسيحيين » .

« إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق .. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى .

ولقد ظلَّ غيرُ المسلمين ، على وجه الإجمال ، ينْعَمُون في ظلِّ الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلا في أوربا حتى عصور حديثة جدًّا .

وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرَّم طبقًا لتعاليم القرآن ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وإن مجرد وجود كثير جدًّا من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلَّت قرونا في ظلِّ الحكم الإسلامي ، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نَعِمَ به هؤلاء المسيحيون ، كما يدلُّ على أن الاضطهادات التي كانوا يدعون إلى معاناتها بأيدي الطغاة والمتعصبين ، إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وإقليمية ، أكثر من أن تكون منبعثة من مبدأ مقرَّر من التعصب » .

« لقد كان من السهل على أي حاكم من حكام الإسلام الأقوياء أن يستأصل شَأْفة رعاياه المسيحيين أو ينفيهم من

بلادهم ، كما فَعَلَ الإسبان بالعرب والإنجليز باليهود مدة أربعة قرون تقريبًا . وكان من الممكن تمامًا أن ينفذ سليم الأول [٨٧٥ - ٩٢٦ هـ ١٤٨٠ - ١٥٢٠ م] في سنة ١٥١٤ م - أو إبراهيم [١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م في سنة ١٦٤٦م تلك الفكرة البربرية التي تصورها للقضاء على رعاياه المسيحيين . لكن طبقة المفتي الذين صرفوا أذهان سادتهم عن مثل هذا الغرض الذي ينطوي على القسوة ، إنما فعلوا ذلك باعتبارهم أئمة الشريعة الإسلامية والتسامح الإسلامي .

إن المبدأ الذي وجد قبولًا عظيمًا في ألمانيا في القرن السابع عشر ، وهو أن لكل منطقة دينها الخاص ، لم يقبله قط أي عاهل مسلم » .

* * * *

شهادات الغرب بسماحة المسلمين الفاتحين

* « وقد استطاع ميخائيل الأكبر Michael the Elder [١١٢٦ - ١١٩٩ م] بطريق أنطاكية اليعقوبي - أن يجند فيما كتبه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر – ما قرره إخوانه في الدين ، وأن يرى أصبع الله في الفتوح العربية ، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون .

* وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات « هرقل » [٦١٠ - ٦٤١م] : « . . وهذا هو السبب في أن إله الانتقام الذي تفرد بالقوة والجبروت ، والذي يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ، ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لجئوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم ، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .

ولما أسلمت المدن للعرب ، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها .. ولم يكن كسبًا هينًا أن

نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام » .

« ونجد أركلدوس دى مونت كروسيس Ricoldus de monte وهو مبشر دومينقاني ، زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر - ينطلق بالثناء على المسلمين ، الذين كان قد اشتغل بين أظهرهم ، فيقول :

« لقد استولى علينا الدهش ، كيف أن أعمالاً تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا في ظل شريعة غير مسيحية ! .. ومن الذي لا يعجب إذا تأمل جيدًا أية عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب ، وأي إخلاص في الصلاة ، وأية رحمة بالفقير ، وأي تبجيل لاسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة ، وأي وقار في أخلاقهم وفي معاملتهم للغرباء ، وأية مودة تربط بين جنسهم ؟؟ .. » .

« .. وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من المسيحيين العرب .. فالظاهر أنهم قد انتهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامي الذي كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه

(الاندماج السلمي) الذي تمَّ بطريقة لم يحسها أحد منهم ، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم في الإسلام بالقوة عندما انضووا بادئ الأمر تحت لواء الحكم الإسلامي كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين .

.. وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية في إفريقية الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أي زعم بأن تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه »[١] .

° كذلك شهد الأمير والمستشرق الإيطالي « ليون كايتاني » Caetani [١٨٦٩ - ١٩٢٦م] وهو صاحب الدراسات الشهيرة والكبيرة في تاريخ الشرق والإسلام .. وصاحب التحقيقات لعدد من أمهات كتب التاريخ الإسلامي - شهد للانتشار السلمي للإسلام ، فقال :

« لم يضطهد العرب أحدًا في السنوات الأولى من أجل

---

(١) المصدر السابق . ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ - ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ .

الدين ، كما أنهم لم يعملوا على ضمّ أحد إلى دينهم ، ومن ثَمَّ تمتع المسيحيون الساميون ، في ظلّ الإسلام بعد الفتوحات الأولى ، بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة » .

« .. وما أُثر عن عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ – ٢٣ هـ ٥٨٤ – ٦٤٤ م] من أنه أمر أن يُعطَى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات ، وأن يجري عليهم القوت(١) .. وهو لا ينسى الذميين حتى في أُخرى وصاياه ؛ إذ عهد فيها إلى من يخلفه بما ينبغي القيام به في هذا المنصب السامي ، فقال : « أوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم ، وألا يكلفوا إلا طاقتهم » .

« .. وهناك شواهد كثيرة تبين أن المسيحيين قلما كانوا في عهد الفتوح الإسلامية الأولى يشكون مما يضعف من قوة دينهم » (٢) .

* * * *

(١) البلاذري ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق . ص ٧٠ .

شهادات الغرب بالانتشار السلمي للإسلام

نعم .. شهد هؤلاء العلماء الأفذاذ - الذين يمثلون قِمَمًا في الثقافة الأوربية - على الانتشار السلمي للإسلام .. كما شهدوا على مكانة العقل والعقلانية الإسلامية في هذا الانتشار السلمي .

* فقال العلاَّمة « كايتاني » :

« .. **إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي . أما الشرق ، الذي عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة ، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية ، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة ، مليئة بالشكوك والشبهات ، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس ، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها .**

فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء ، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف ، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية ،

وتزعزعت قواعدها الأساسية ، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الرِّيَب ، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بَدَّدَ بضربة من ضرباته كلَّ الشكوك التافهة ، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل . وحينئذ تَرَكَ الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب .. » .

* كذلك شهد الفيلسوف الأمريكي « جون تايلور » Gunon Tuylor [١٧٥٣ - ١٨٢٤م] على دور هذه العقلانية التي تفرد بها الإسلام في الانتشار السلمي لهذا الدين ، فقال :

« إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة في أفريقيا وآسيا . لقد كان أئمة اللاهوت في إفريقية والشام قد استبدلوا عقائد ميتافيزيقية عويصة بديانة المسيح ، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبة في السماء ، وسمو

البكورية إلى مرتبة الملائكة ، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة ، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة ، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة ، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم . فأزال الإسلام ، بعون من الله ، هذه المجموعة من الفساد والخرافات . لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى . ولقد بَيَّنَ أصولَ الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته ، كما بَيَّنَ أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه . وأعلن أن المرء مسئول ، وأن هناك حياة أخرى ويومًا للحساب ، وأعدَّ للأشرار عقابًا أليمًا ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفِعْلَ الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين

في الدين ، وأحلَّ الشجاعة محلّ الرهبنة ، ومنح العبيد رجاء ، والإنسانية إخاء ، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية .. » (١)

شهادات الغرب على امتياز الإسلام ببساطة الفطرة وعقلانيتها

« كذلك شهد على هذه العقلانية الإسلامية - عقلانية الفطرة - التي تَمَيَّزَ بها الإسلام وامتاز .. والتي لعبت دورًا كبيرًا في انتشاره السلمي .. المستشرق الفرنسي البروفسور « مونتيه » [١٨٥٦ - ١٩٢٧ م] - الذي ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية ، وكتب مؤلّفه المرموق عن [حاضر الإسلام ومستقبله] فقال : « **إن الإسلام في جوهره دين عقلي ، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي** Rationalism **بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المتحدة من العقل والمنطق ، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق ..**

(١) المصدر السابق . ص ٨٩ - ٩٢ .

وإن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل ..

إن عقيدة الإسلام في الوحدانية وفي النبوة والرسالة إنما تستقرّ في نفس المتدين به على أساس ثابت من العقل والمنطق ، وهي تلخص كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن ، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعّالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام . لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل ، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة ، وقد جهر القرآن دائمًا بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول ، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا .

وإن هذا الإخلاص لمبدأ الدين الأساسي ، والبساطة الجوهرية في الصورة التي يصاغ بها هذا الدين ، والدليل الذي كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشرها اقتناعًا يلتهب حَمَاسةً وغَيرةً ، إن هذا كله يُكَوِّنُ الأسباب

الكثيرة التي تُفَسِّرُ لنا نجاحَ جهود دعاة المسلمين .

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد ، خالية كل الخلوّ من جميع التعقيدات الفلسفية ، ثم هيَ تبعًا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي ، أن تمتلك ، وإنها لتمتلك فعلًا ، قوة عجيبة ، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس .. » .

* * * *

* أما اللاهوتي الكاثوليكي ، والمستشرق الإيطالي « الأب مراتشي » Marracci [١٦١٢ - ١٧٠٠ م] - وهو الذي نشر القرآن متنًا وترجمة بالإيطالية .. وألَّفَ كتاب [دراسة عن الإسلام] .. وأسهم - كذلك - في ترجمة العهدين القديم والجديد - فهو يشهد شهادة الخبير على امتياز الإسلام ببساطة الفطرة وعقلانيتها .. فيقول :

« لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري ، أو التي هي - على الأقل - من الصعوبة بمكان ، إن لم تكن مستحيلة - [العقيدة المسيحية] - وبين عقيدة القرآن ، لانصرف عن الأولى

في الحال ، وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول .

يقول القرآن : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وهي نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة تبعث على الدهش في المجتمع الإسلامي ، وقلما تعجز عن أن تتجلى في أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد ، ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه فإنه يُقبل في زمرة المؤمنين ، ويتبوأ مكانة على قدم المساواة مع أقرانه المسلمين .

لقد روعي في تأليف هيئة الكنيسة ، منذ بدء تاريخها لنشر التعاليم المسيحية ، أن يكون مُبَشِّروها – في أغلب الأحيان – قساوسة ورهبانًا ، يعيّنون لهذا الغرض بانتظام .

أما في الإسلام ، فإن عدم وجود أي لون من ألوان الكهنوت أو أية هيئة دينية منظمة أيًا كانت ، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى في صور مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية ، فليس هناك – في الإسلام – جمعيات للدعوة ، ولا موكلون مدربون لهذا الغرض ، كما أنه قلما تجد

مواصلة الجهود في هذا السبيل .

ولم يكن النشاط الروحي للإسلام – كما زعم عدد كبير جدًّا من الناس – متمشيًا مع سلطانه السياسي ، بل على العكس من ذلك ، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية التي تعدّ أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة .. »[١] .

لماذا انتشر الإسلام - دين الجهاد - سلمًا .. بينما النصرانية - دين التصوف المسالم - انتشرت بالسيف والقهر والإكراه ؟

هكذا شهد الكثيرون من أعلام علماء الغرب ومستشرقيه – الذين جمعوا بين الدراسة للإسلام وحضارته والدعوة إليه وبين الدراسة للديانات الأخرى وحضاراتها والدعوة إليها – على تميز الإسلام وامتيازه بعقلانية الفطرة .. وبساطة العقيدة .. ومناسبتها لعامة الناس وجماهيرهم .. ومن ثَمَّ امتلاكه ميزة الانتشار السلمي السريع والمدهش ، مع خلوّ تاريخه وتاريخ الدعوة إليه

(١) المصدر السابق. ص ٢٧، ٢٨ـ ٣٠، ٤٥، ٦٢، ٤٤٩، ٤٥٤ـ ٤٥٧، ٤٦٩ .

من المؤسسات التبشيرية التي تدعو إليه .. ومن النفوذ السياسي للنظم والحكومات التي حكمت بلاد الإسلام ..

وهكذا تميزت الدعوة إلى الإسلام عن التنصير .

وبشهادة هؤلاء العلماء الأعلام من النصارى الغربيين .. بل لقد رصد هؤلاء العلماء الغربيون –وفي مقدمتهم العلامة سيرتوماس أرنولد – تلك المفارقة التي جعلت الإسلام – دين الجهاد – ينتشر سلمًا .. وجعلت النصرانية – دين التصوّف المسالم – تنتشر في الغرب ، بالسيف والقهر والإكراه !! .

* نعم .. رصد العلامة توماس أرنولد هذه الظاهرة .. وسرد وقائع التاريخ الشاهدة عليها .. هذه الوقائع التي تقول :

* « **لقد فرض** « **شارلمان** » [٧٤٢ – ٨١٤م] – ملك الفرنجة – التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحدّ السيف » .

* « **وفي الدانمرك** استأصل الملك « كنوت » Cnut [٩٩٥ – ١٠٣٥] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب » .

* « **وجماعة إخوان السيف** Bretheren of the sword

وغيرهم من الصليبيين ، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار في تنصير البروسيين الوثنيين » .

* « **ولقد فرض فرسان** Ordo Fratrum Fratrum Miliuechrist المسيحية على شعب ليفونيا فرضًا » .

* « **وفي سنة ١٦٩٩ م وجه « فالنتين »** Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyan مرسومًا يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعي الكنيسة .. وربما حلَّ الاضطهاد والتنصير الإجباري محلَّ الدعوة الهادئة إلى « كلمة الله » .

* « **وفي فيكن** Viken (القسم الجنوبي من النرويج) كان الملك « أولاف ترايجفيسون » Olaftrygvesson [٩٦٣ - ١٠٠٠ م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو بنفيهم وتشريدهم ، وبهذه الوسائل نشر الدين في « فيكن » بأسرها .. »

* « **ووصية القديس لويس** (١٢١٤ - ١٢٧٠ م] تقول : « عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أُسيء

إلى سمعتها ، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه ، الذي يجب أن يطعن به الكافر في أحشائه طعنة نجلاء » .

* « **ولقد ظل الإسلام قائمًا بين « الباشغردية »** – من أهل المجر – حتى سنة ١٣٤٠ م ، حين أرغم الملك « شارل روبرت » جميع رعاياه الذين لم يكونوا مسيحيين بعدُ ، أن يعتنقوا الدين المسيحي أو يغادروا البلاد » .

* « **وفي سنة ١٧٠٣م جمع « دانيال بيتروفتش »** D. petrovich - الأسقف الحاكم في ذلك الحين - القبائل وأخبرهم أن الأمل الوحيد لإنقاذ بلادهم ودينهم ينحصر في القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم . وكان من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا المسيحية من مسلمي الجبل الأسود قتلوا في ليلة عيد الميلاد ، في ثبات ورباطة جأش ! » .

* « **وفي روسيا** سنة ٩٨٨ م ، جهر « فلاديمير Vladimir – ملك روسيا في ذلك الحين – بالمسيحية » وفي اليوم التالي لتعميده ، أصدر مرسوما

يقضي بأن يذعن الروس كافة ، سادة وعبيدًا ، أغنياء وفقراء للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية . وهكذا أصبحت المسيحية ديانة الروس . ولم يفتح الباب أمام التدين بالإسلام - في روسيا - إلا بعد أن صدر مرسوم سنة ١٩٠٥ م الذي ينص على التسامح الديني ..

أما قبل ذلك التاريخ ، فلقد حاولت الحكومة الروسية فرض المسيحية على رعاياها المسلمين في أوربا - بما في ذلك التتار - وكان القانون الجنائي الروسي يتضمن دائمًا عقوبات صارمة لهؤلاء الذين حادوا عن الكنيسة الأرثوذكسية ويعاقب كل شخص تثبت عليه تهمة تحويل مسيحي إلى الإسلام بتجريده من كافة الحقوق المدنية ، وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثماني سنين وعشر ..

ولقد دونت الأخبار كثيرًا عن دخول الناس أفواجًا بعد صدور مرسوم الحرية الدينية سنة ١٩٠٥ م .. ولقد كان أكبر الفضل في ذلك النجاح للدعوة الإسلامية راجعًا إلى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي ، الذي كان أكثر رُقيًا ،

كما يرجع أيضًا إلى شعور التآخي الذي كان يشيع في هذا المجتمع ، والذي كان أكثر تماسكًا وقوة .. وكان هؤلاء الذين أسلموا يلقون في قراهم عنتًا واضطهادًا بتسميتهم « الكلاب المختونين » ! . ولقد أخذ الخوف من رجال الكنيسة الأرثوذكسية كل مأخذ ، حتى أقاموا جمعية خاصة تقوم بتوزيع منشورات دينية بين أهالي القوقاز والأبخازي Abkazes أملًا في مناهضة النفوذ الإسلامي » .

• « **وفي الحبشة** ، اتخذ الملك « سيف أرعد » [١٣٤٢ - ١٣٧٠ م] - حاكم أمهرة - تدابير صارمة ضد المسلمين في مملكته ، تقضي بإعدام كل من أبَى الدخول في المسيحية أو نفيهم من البلاد . وقد قيل إن الملك « بثيدماريام » [١٤٦٨ - ١٤٧٨م] قضى الجزء الأكبر من حكمه في محاربة المسلمين الذين كانوا يقيمون على الحدود الغربية من مملكته ..

وقد كان على مسلمي « هدية » أن يدفعوا جزية أخرى للملك ، وهي أن يعطوه في كل سنة بنتًا ينصرها له ، وجرت هذه العادة في بلدهم بمقتضى معاهدة كان ملك الحبشة

يحكم دائمًا بها .. ثم إنه حكم عليهم ألا يلبسوا عدة الحرب ولا يمسكوا السيف ، ولا يركبون خيولهم بالسروج وإلا قتلهم وخَرَّب مساجدهم .. ولقد كانوا مجبرين على تقديم الأموال إلى رسل الملك ، ومعها البنت التي يخرجونها على السرير ، بعد تغسيلها وتكفينها بثوب ، والصلاة عليها ، بحسبانها قد ماتت ! .. » .

* « **وقبائل الجلا والصومال** ، أُدخلوا كرهًا في الديانة المسيحية .. أرغمهم ملك الحبشة على انتحال المسيحية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر .. » .

* « وفي سنة ١٨٧٨ م – بعد حرب سنة ١٨٧٥م بين الحبشة ومصر – **عقد الملك الحبشي « جون »** مجمعًا يضمّ رجال الكنيسة الحبشية ، ونادوا به حكمًا أعلى في المسائل الدينية ، فقرر وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة أنحاء المملكة ، وأُعطي المسيحيون على اختلاف طوائفهم ، ما عدا اليعاقبة ، مهلة عامين ليصبحوا فيها متفقين في الرأي مع كنيسة البلاد ، وأُلزم المسلمون بالتسليم في خلال ثلاث

سنين ، والوثنيون في خلال خمس . وأذاع الملك مرسومًا بعد ذلك بأيام قليلة ، أوضح فيه أن مهلة السنوات الثلاث التي مُنحها المسلمون كانت قليلة الأهمية ، وذلك أنه لم يقتصر - في المرسوم الجديد - على إلزامهم ببناء كنائس مسيحية متى كانوا في حاجة إليها ، ودفع العشور للقساوسة الذين في مقاطعاتهم الخاصة ، بل إنه أنذر كل الموظفين المسلمين بأن يختاروا في خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد أو التخلي عن مناصبهم .. ولقد تظاهر المسلمون بالقبول والخضوع ، لكنهم كانوا - في الخفاء - يؤكِّدون ولاءهم للإسلام ! .

وفي هذه الحملة أرغم الملك « جون » سنة ١٨٨٠ م ما يقرب من خمسين ألفًا من المسلمين على التعميد .. كما أجبر عشرين ألفا من أفراد إحدى القبائل الوثنية .. ونصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية ! .. »[(١)] .

---

(١) المصدر السابق . ص ٣٠-٣٢ ، ١٢٢ ، ١٣٥-١٣٦ ، ١٤١-١٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٧٤-٢٧٦ ، ٢٧٨-٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

وانظر في ذلك أيضًا : كتابنا [الإسلام في عيون غربية .. بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء] طبعة دار الشروق - القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

وشهد شاهد من أهلها

تلك هي شهادة حقائق التاريخ ، والوقائع التي تجسدت في الممارسات والتطبيقات .. والتي تعلن أن التمايز والاختلاف قد كان واضحًا وحاسمًا بين طريق الدعوة الإسلامية وطريق التنصير .

ولقد تعمدنا أن تكون هذه الشهادات من أعدل الشهود بين علماء الاستشراق .. ومن أوثق المصادر الغربية التي رصدت انتشار الإسلام ، وقارنت بين سبل انتشاره وسبل انتشار ونشر النصرانية في العالم الغربي ..

إن الشاهد في قضيتنا هذه هو العالم الإنجليزي « سير . توماس أرنولد » [١٨٦٤ - ١٩٣٠ م] Arnold ، Sirthomas.. الذي قال عنه العالم الإنجليزي الحجة البروفسور « ألفريد جيّوم » Alfred Cuittaume رئيس دائرة الشرق الأدنى والأوسط لمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية لجامعة لندن - : « إنه من أعاظم المستشرقين البريطانيين . تعلم في كمبردج ، وقضى عدة سنوات - ١٨٨٨ - ١٨٩٨ م - في الهند أستاذًا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية ، وأستاذًا للفلسفة في لاهور

- ٩٩٨ - ١٩٠٤ م - ومساعدًا لأمين مكتبة ديوان الهند - ١٩٠٤ - ١٩٠٩ م . وهو أول من جلس على منبر الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة ١٩٠٤ م ، ثم اختير عميدًا لها . وقد ذاع صيته بكتابه [الدعوة إلى الإسلام] - لندن سنة ١٨٩٦ م . و [الخلافة] - أكسفورد سنة ١٩٢٤ م - كما كتب دراسته الإجمالية عن الإسلام بعنوان [العقيدة الإسلامية] . وكتابه الفخم عن [التصوير في الإسلام] ، وهو صاحب فكرة كتاب [تراث الإسلام] ، والمشرف على تنسيقه وإخراجه . ولقد كان مُلِمًّا باللغتين العربية والفارسية ، إلى جانب إلمامه بمعظم اللغات الأوربية ، مالكًا لمفاتيح عالم العصور الوسطى وعالم العصر الحديث . ولقد خلت كتاباته من أية أغلاط ، أو حتى هفوات لاحظها عليها المتخصصون من الغربيين أو المسلمين » .

هذا عن « الشاهد » .. أما مصدر هذه الشهادة ، فهو الكتاب العمدة الذي كتبه « أرنولد » عن [الدعوة إلى الإسلام] ، والذي تفرد في هذا الباب تفردا مطلقا . حتى قال عنه المستشرق

الإنجليزي « ر . ا . نيكلسون » [١٨٦٨ - ١٩٤٥م] Nicholson . A » : « إنه كتاب يفوق حدَّ الوصف من ناحية .. وهو مؤلّف لا يمكن الاستغناء عنه ، ويعد حجة ثابتة .. وهو من أوله إلى آخره ، برغم طابعه التاريخي ومنهجه العلمي ، إنما هو حجة أرنولد أقامها على الجور والتعصب . وإن آراءه في الجملة خليقة بأن تؤثر حتى في هؤلاء الذين قد يظنون أن هذا الكتاب مصدر خطر ، عندما يقدرون بواعث الحماسة في نَشْرِ الدعوة الإسلامية ونتائجها ، تاركين بصفة قاطعة مظهرًا من نشاط هذه الدعوة لم يحسبوا له حسابًا ، كما فَعَلَ أرنولد ..

إنه ليستولي علينا الدهش كيف استطاع أرنولد أن يجمع وينقد هذا القدر الهائل من المواد المتنوعة التي تتعلق بالكتب والمراجع التي استخدمها في الطبعة الأولى من كتاب [الدعوة إلى الإسلام] وإن نظرة واحدة في المراجع التي اعتمد عليها المؤلّف ، تكفي لنتحقق قيمة الكتاب باعتباره مستودعًا وصورة للحقائق التي تتعلّق بموضوعه .. إنه كتاب زاخر بالحياة .. وبينما نجده ينقلنا على التوالي من بلاد العرب إلى أسيا الغربية وإفريقيا وإسبانيا وفارس

والهند والصين والملايو ، فإننا نحسّ من وراء سطحه الهادئ عمق الحجج المقنعة وقوتها ، تلك الحجج التي تبعث فيه الحياة »[١] .

نعم .. تلك مكانة « الشاهد » ..

وهذه هي مكانة « الشهادة » على تَمَيُّزِ الدعوة إلى الإسلام عن التنصير ، إن في « المنهج » أو « تاريخ الممارسات والتطبيقات » .

وبذلك .. وبهذه الدراسة .. نقدم الإجابة – الموضوعية .. والمنطقية .. والعقلانية .. والواقعية ـ عن هذا السؤال ـ الذي يحسبه الكثيرون « محرجا . . وحساسا » :

ـ لماذا يمنع المسلمون حرية التنصير في بلاد الإسلام ، في الوقت الذي يدعون فيه إلى دينهم في البلاد الغربية ؟ ! .

وهي إجابة نرجو أن تُحِقَّ الحق وتزهق الباطل .. وأن تكون بمثابة « الكلمة السواء » التي ندعو إليها مختلف الفرقاء .

* * * *

---

(١) نيكلسون [تراث الإسلام] ص ١٦٨ . ترجمة : جرجيس فتح الله . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م ومقدمة الطبعة الثالثة لكتاب [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٥ ـ ١٧ .

العداء الغربي للإسلام والمسلمين

ثُمَّ .. وأخيرًا ..

هل بقي الغرب - حكومات ومؤسسات - على حياده إزاء الدين وإزاء الدعوة إلى الإسلام ؟! .. أم أنه قد اتخذ الإسلام عدوًا .. وأعلن عن ذلك - بعد سقوط الشيوعية سنة ١٩٩١ م - كما كان حاله مع الإسلام إبان الحملات الصليبية الغربية على ديار الإسلام [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] ؟!

إن أحدث التقارير الرسمية - نعم الرسمية - الغربية ، التي تتحدث عن الموقف الغربي الحالي من الإسلام والدعوة إليه .. ومن المسلمين - حتى أولئك الغربيين الذين يعيشون في الغرب ، ويحملون جنسيات أوطانه - إن أحدث هذه التقارير الرسمية الغربية يعلن « العداء للإسلام والمسلمين » !!

ففي انجلترا ، تألفت لجنة من كبار المفكرين وأساتذة الجامعات البريطانية ، رأسها البروفيسور « جوردون كونواي » - مستشار جامعة ساسكس Sussx - .. وكان من بين أعضائها أسقف لندن .. ورئيس تحرير صحيفة « نيوستيسمان » .. وأستاذ

القانون بجامعة « سوث هامبتون » .. وممثلة عن هيئة الخدمة المدنية .. ورئيس « المجلس اليهودي لمنع التفرقة العنصرية » .. وعدد من كبار الأساتذة الجامعيين الإنجليز .

ولقد صدر عن هذه اللجنة - التي مثلت خبراء المؤسسات المدنية والفكرية والدينية - المسيحية واليهودية - التقرير الذي يعلن الموقف الغربي من الإسلام .. والذي جاء فيه :

« .. إن الموقف الشائع في الثقافة الشعبية والثقافة السياسية في الغرب : أن الإسلام مصدر تهديد للدول والشعوب وللثقافة والحاضرة الغربية .

وإن الفكرة السائدة : أن الإسلام تهديد رئيسي للسلام في العالم .. وأنه يماثل تهديد النازية والفاشية للعالم في الثلاثينات والتهديد الشيوعي في الخمسينيات من القرن العشرين ..

وإن الفكرة السائدة : أن الحرب مع الإسلام حتمية ..

وإن المتعصبين الإسلاميين يزداد عددهم ، وإنهم يهدفون إلى تدمير الحضارة الغربية ، وهم سعداء ، لأن هذا هو « الجهاد » الذي يأمرهم به دينهم ..

وتتردد في الأدبيات الغربية عبارة : « إن قبائل أصحاب العمامات سوف تنتصر » نتيجة لرفض الغربيين للإنجاب ، وتزايد الحاجة إلى المهاجرين ، مما يهدد بأن تحيا الحضارة الغربية بعد ذلك بدماء غير أوربية ، وينتشر الإسلام في دول أوربا والولايات المتحدة . وقد بدأ العدّ التنازلي بالسماح بتدريس القرآن في المدارس .

إن الناس في الغرب يرفضون - لا شعوريًا - الانتقادات التي يوجهها المسلمون للمجتمعات الغربية وللقيم الأساسية لهذه الحضارة ، مثل الحرية ، والديمقراطية ، والحداثة ، وفصل الدين عن الدولة وعن السياسة .

إن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصورًا على الصحف الصغيرة ، ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية . وتتكرر في الغرب عبارات الازدراء للإسلام .

وإنه من السذاجة الادعاء بعدم وجود صراع بين الغرب والإسلام اليوم كما كان في الماضي أيام الحروب الصليبية ، وأيام الفتوحات الإسلامية في إسبانيا ، ووصول الجيوش

الإسلامية إلى جنوب فرنسا ، وانتشار الإسلام في ألبانيا ويوجوسلافيا بالغزو ..

وفي الوقت الحالي توجد صراعات المصالح . ويوجد الصراع المتعلق بإسرائيل . وبالسيطرة على البترول . وهذه الصراعات تؤدي حتمًا إلى محاولة كل طرف إخضاع الآخر . وبسببها أيضًا تتراكم المشاعر المعادية للإسلام .

ويزيد الأمر صعوبة وجود الصراع مع الإسلام في الشيشان وأفغانستان والهند . ووجود توترات وصراعات سياسية داخلية في الدول الإسلامية ذاتها . وينظر الغربيون إلى هذه الصراعات على أنها صراع بين الحداثة الغربية والجمود الذي يمثله الإسلام ، وحرص المسلمين على صبغ كل أمورهم بالصبغة الدينية ..

إن العداء للإسلام ، في الثقافة الغربية المعاصرة ، حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها » [(١)] .

****

---

(١) صحيفة [الأهرام] ـ مقال الأستاذ رجب البنا في ١٨ ـ ١١ـ ٢٠٠٧م .

نعم .. هذا أحدث إعلان رسمي عن واقع العداء الغربي للإسلام .. والازدراء الغربي للإسلام .. والحصار الغربي على الإسلام والمسلمين ، حتى في المجتمعات الغربية التي ظلت قرونًا تدعي حياد حكوماتها ومؤسساتها إزاء الأديان - ومنها دين الإسلام .. والدعوة إليه - ..

والأشد في الغرابة أن هذا يحدث في ظل :

- غزو غربي مسلح للعديد من أقطار الإسلام ..

- وانتشار كثيف للقواعد العسكرية الغربية في الكثير من ديار الإسلام ..

- واحتلال واسع للبحار والمحيطات الإسلامية من قِبَلِ الأساطيل الحربية الغربية .

- وسيطرة اقتصادية للشركات المتعددة الجنسيات الغربية على المقدرات الاقتصادية لعالم الإسلام .

- وهيمنة ثقافية وإعلامية غربية على فضاءات عالم الإسلام وعقول كثير من النخب المثقفة فيه .. وحصار غربي على أي صوت للإعلام الإسلامي يحاول النفاذ إلى الغرب .

– وتصفية غربية للمؤسسات المالية الإسلامية العاملة في ميادين الإغاثة والنشاط الخيري ..

نعم .. في ظلّ هذا الخلل الفاحش .. يتساءلون :

لماذا يمنع المسلمون حرية التنصير في بلاد الإسلام ، في الوقت الذي يدعون فيه إلى دينهم في البلاد الغربية ؟ .

فهل بقيت – بعد هذه الدراسة .. وما قدَّمت من فِكْر منطقي .. ووقائع تاريخية .. وحقائق آنية – ذرة من المنطقية والعقلانية تستدعي أو تبرر هذا السؤال ؟ !

وهل من المنطقي التسوية بين موقف الإسلام ودعوته من الديانات الأخرى – وهو موقف الإيمان – والاحترام .. والتقديس لأصول هذه الديانات ورموزها وكتبها – وبين موقف الإنكار والجحود والازدراء الذي يقفه الآخرون من الإسلام .. والذي عَبَّرَ عنه أحدث إعلاناتهم عندما قال :

« إن تشبيه الإسلام بالشيطان ليس مقصورًا على الصحف الصغيرة ، ولكن الصحف الكبرى والكتب والمحاضرات الجامعية .. وتتكرر في الغرب عبارات الازدراء للإسلام » ! .

يحدث هذا في القرن الواحد والعشرين .. على حين كانت الدعوة الإسلامية - منذ خمسة عشر قرنًا .. ولا تزال - لا تفرق بين أحد من رسل الله .. وتؤمن بكل الكتب السماوية .. وتعلن في قرآنها الكريم : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

فهل يستوي الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون ؟ ! .. والذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ! والذين يعدلون وينصفون والذين يظلمون ويفترون ؟ ! .

۞ ۞ ۞ ۞

المحتويات

❁ ❁ ❁ ❁

هذا الكتاب

إن الغرب الذي يدّعي العلمانية .. ينسى — في مواجهة الإسلام — حياء العلمانية إزاء الأديان .. فيسعى لفرضها على الإسلام والمسلمين.

وإن الكنائس الغربية — التي طالما شكت من العلمانية التي هزمت المسيحية في بلادها — هي التي تتحالف مع الحكومات الاستعمارية الغربية لنشر العلمانية في بلاد الإسلام ! ..

وإن مؤسسات الهيمنة الغربية — التي تَعْبُدُ البنك من دون الله ، هي التي تتحالف مع الكنائس الغربية لتنصير المسلمين ، وإحلال الإنجيل محل القرآن الكريم .

وفي مواجهة استعصاء الإسلام على العلمنة .. يتصاعد الحقد الغربيّ على الإسلام من)) غطرسة القوة ((إلى)) جنون القوة ((.. حتى لكأننا أمام بعث جديد لتحالف)) القوة الفرعونية ((مع)) الوفرة القارونية ((في القرن الواحد والعشرين ! ..

وهنا يصبح)) الوعي الإسلاميّ ((أكثر الأسلحة مضاء في هذا الصراع .. وتلك هي رسالة هذا الكتاب ؟

د. محمد عمارة

